

ورقات تحليلية

رسائل إيران: حتى مع بايدن إعادة التفاوض لن تكون سهلة

فاطمة الصمادي*

8 نوفمبر / تشرين الثاني 2020



Al Jazeera Centre for Studies

Tel: +974 40158384

jcforstudies@aljazeera.net

<http://studies.aljazeera.net>



الصحف الإيرانية تناولت بسخرية الجدال بشأن الفائز في الانتخابات الأمريكية (المصدر: صحيفة وطن امروز)

استبق قائد الثورة الإسلامية، آية الله علي خامنئي، نتائج الانتخابات الأمريكية التي جاءت بجو بايدن رئيساً، مؤكداً أن سياسة إيران واضحة ومدروسة ولن تتغير بتغيير رؤساء الولايات المتحدة. ولاحقاً، وصف الانتخابات بأنها مسرحية تعكس سقوطاً أخلاقياً وسياسياً للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الوصف في جزء منه يمثل الموقف الفكري والعقائدي لخامنئي تجاه بلد صُنِغت علاقته مع إيران بالعداء لما يقارب النصف قرن.

من طرفه، قال الرئيس الإيراني، حسن روحاني: إن نتيجة الانتخابات الأمريكية لا تهم حكام بلاده لكنه دعا الرئيس الأمريكي القادم إلى احترام القوانين والمعاهدات الدولية. وأكد وزير الخارجية، محمد جواد ظريف، أن بلاده لن تتفاوض مع الرئيس الأمريكي القادم بشأن الاتفاق النووي؛ حيث سبق لإيران أن وقَّعت اتفاقاً بشأن برنامجها النووي في صيف 2015 مع (مجموعة 1+5)، وانسحبت منه الإدارة الأمريكية بقرار من الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، في 2018، مُدخلًا الاتفاق وكذلك العلاقات الإيرانية-الأميركية في أزمة متصاعدة.

تعهد بايدن بإعادة مشاركة الولايات المتحدة في الاتفاق النووي مع إيران، لكن ملف العلاقات بين البلدين لا يقتصر على الاتفاق النووي؛ حيث تتعدد الملفات الشائكة في العلاقة بين واشنطن وطهران، بعضها قديم منذ انتصار الثورة وقيام الجمهورية الإسلامية كالعقوبات، وبعضها لاحق لذلك على غرار البرنامج الصاروخي والنفوذ الإقليمي، ومن أهمها أيضاً القضية الفلسطينية والموقف من إسرائيل. وعلى الرغم من أن بايدن قد يختلف مع نتائجه فيما يتعلق بالسياسة تجاه إيران بالنظر إلى المصالح الأميركية، إلا أنه مؤيد لإسرائيل ويصف نفسه بأنه صهيوني وصادق لتسعة ممن تولوا منصب رئيس الوزراء في إسرائيل، ولن يسمح لإيران بامتلاك سلاح نووي.

تتناول هذه الورقة كيف تقرأ إيران انتخاب جو بايدن رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية والإمكانات التي يوفرها انتهاء عهد ترامب بالنسبة للجمهورية الإسلامية لتجاوز مأزق العقوبات. وترى أن التفاوض مجدداً هو أمر مستبعد في الفترة القليلة على حكومة روحاني قبل الانتخابات الرئاسية الإيرانية في يونيو/حزيران 2021 والتوقعات بمجيء رئيس أصولي التوجه.

أرسل روحاني، الذي يحاول فيما تبقى له من شهور قليلة من فترته الرئاسية أن يخفف من ضغط العقوبات الأميركية التي هدفت إلى شلّ الاقتصاد الإيراني، رسائل واضحة في اجتماع لمجلس الوزراء: "بالنسبة لطهران، سياسات الإدارة الأميركية القادمة هي المهمة وليس من يفوز في الانتخابات الأميركية"، وهو بذلك يلقي الكرة في ملعب الرئيس الأميركي الجديد.

لا تبدو إيران متفائلة كثيرًا تجاه سياسة بايدن، لكنها بالتأكيد مرتاحة لذهاب ترامب؛ فنتيجة الانتخابات الأميركية طوت صفحة ترامب وفريقه، وهو الفريق الذي [وصفه](#) نائب الرئيس الإيراني، إسحاق جهانكيري، بأنه داع للحرب وناقض للمعاهدات، ووضع عقوبات لا إنسانية بحق الشعب الإيراني، ودافع عن الإرهاب والعنصرية. وفيما يأمل جهانكيري بتغيير في السياسة الأميركية مع بايدن وأن تعود واشنطن لتعهداتها الدولية، يذكر بأن إيران لن تنسى اغتيال سليمان والمعاداة التي سببتها العقوبات للشعب الإيراني.



آية الله خامنئي وصف الانتخابات الأميركية بـ"المسرحية" (المصدر: مشرق نيوز)

وقد تراوحت ردود الفعل الإيرانية بين متوجس من جو بايدن ومستبعد لتغيير في السياسة الأميركية وبين متفائل حذر بإمكانية انتهاء سياسة الضغط الأقصى التي انتهجها ترامب. وأعاد ساسة إيرانيون نشر صور قاسم سليمان وعبارته التي خاطب بها ترامب: "[أيها المقامر](#)"..



وزير الاتصالات الإيراني غرد ناشرا صورة لسليمانى وخطابه لترامب: "أيها المقامر" (المصدر صحيفة همشهري)

اغتيال سليمانى: الملف المفتوح

وضع اغتيال قائد فيلق القدس، قاسم سليمانى، مطلع العام 2020، الفريق المناهض بالتفاوض مع واشنطن في الزاوية. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، هاجم بايدين عملية الاغتيال لأنه اعتبرها تهديداً للمصالح الأمريكية، وبالعودة إلى تعليق بايدين، فقد [رأى](#) أن سليمانى "كان ينبغي أن يمثل أمام القضاء، ليحاسب على جرائمه التي ارتكبها ضد القوات الأمريكية.."، وهاجم ترامب، وقال في بيان نشره على حسابه في تويتر: إنه "رمى إصبع ديناميت في برمبل بارود ويدين للشعب الأمريكي بتوضيح استراتيجيته وخطته لإبقاء جنودنا وموظفي سفاراتنا ومصالحنا وحلفائنا بأمان".



بايدين اعتبر اغتيال سليمانى تهديدا للمصالح الأمريكية (المصدر: حساب بايدين على تويتر_ الجزيرة للدراسات)

ومن الواضح أن مجيء بايدن وذهاب ترامب لم يطو هذه الصفحة، وما زال ملف اغتيال سليمانى -وفق ما يؤكد خامنئى والحرس الثورى بصورة متكررة- ملفاً مفتوحاً ولم يؤخذ الثأر بعد.

ووسط موجة من الأصوات الراضة للتفاوض مع واشنطن، خرج حسن روحانى ليقول بلهجة غاضبة: "[لا أعرف](#) طريقة لحل مشكلات الاقتصاد الإيرانى دون علاقات مع الخارج"، وفي ذلك اعتراض مبطن على مجمل خطة مرشد الثورة المدرجة تحت اسم "الاقتصاد المقاوم"، وأعاد الكرة إلى ملعب الشعب الإيرانى عندما قال: الناس [صوتوا](#) لي حتى أنزع فتيل التوتر مع العالم، في إشارة إلى فوزه في الانتخابات الرئاسية عام 2013 و2016 على منافسيه من التيار المعارض للتفاوض مع واشنطن. وبعد أشهر، عاد إلى التاريخ ليستجد به مستحضراً صلح الإمام الحسن مع معاوية، بصورة فسرت بأنها دعوة للتفاوض والسلام مع الولايات المتحدة الأمريكية. وفتحت هذه الدعوة المستترة بالتفاوض أبواباً تأتي برياح يعجز روحانى عن مواجهتها؛ فقد [طالب](#) رئيس لجنة الأمن القومى والسياسة الخارجية في مجلس الشورى، مجتبى ذو النور، بإعدام الرئيس "ألف مرة" بعد حديثه عن صلح الإمام الحسن.

وسبق لوزير الخارجية الإيرانى، محمد جواد ظريف، أن أثار موجة [نقد](#) حادة عندما قال في مقابلته مع "دير شبيغل" الألمانية: "إن احتمال المفاوضات مع أميركا بعد اغتيال سليمانى ليس أمراً مستحيلاً وأنا لا أنفيه أبداً"، وربط ذلك بإزالة العقوبات، وهو شرط إيرانى سابق على اغتيال سليمانى. ويرد معارضو التفاوض بأن أي هدف للتفاوض مستقبلاً لن يتعدى "استهداف القدرة الصاروخية لإيران، ووقف الدعم لجبهة المقاومة". وردت الأصوات الراضة، وهي الأقوى في الساحة الإيرانى، مستنكرة: "[مفاوضات مع قاتل الحاج قاسم؟!!](#)".

تسود في غالبية أوساط صنّاع القرار الإيرانى حالة رفض قوية للتفاوض بصيغته المباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية. وفي المدى المنظور، لا يبدو أن روحانى وما تبقى له من أشهر قليلة في الرئاسة يملك القوة التي تمكنه من أن يخوض لعبة التفاوض الخطرة هذه مع واشنطن. ومع ذلك، فإن السؤال الملحّ اليوم يتعلق بمدى استشعار الطبقة الحاكمة في إيران بوجود خطر يهدد بنية النظام، والجواب على ذلك يجعلنا نتحفظ على إسقاط الاحتمال التفاوضى بشكل كامل. وإذا كان ترامب سعى لإجبار إيران على التفاوض مجدداً وتوقيع اتفاق جديد فإن الرئيس المنتخب بايدى لن يكون بمقدوره تجاوز العقبات التي وضعتها إدارة ترامب بشأن محاصرة إيران من خلال هيكلية العقوبات المعقدة، وسيسعى أيضاً بشكل واضح إلى دفع إيران للتفاوض بشأن نفوذها الإقليمى وبرنامجها الصاروخى، ولكن مجيئه يعطى مرونة سياسية أكثر لصنّاع القرار في إيران بشأن مبدأ التفاوض، خاصة أنه تحدث عن عودة الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاتفاق النووى.

إيران وانتخابات الرئاسة 2021

أعطت نتائج انتخابات مجلس الشورى الإسلامى، في فبراير/شباط 2020، وكذلك مجريات الحالة السياسية الداخلية، مؤشرات على توجهات الرئيس الإيرانى القادم الذي سيخلف روحانى في 2021، وفيما يبدو التيار الإصلاحى أضعف من أي وقت مضى، فإن سياسة ترامب قد وجّهت ضربة كبيرة لتيار الاعتدال بقيادة روحانى، ولذلك فإن المعطيات إلى هذه اللحظة تقول بعدم قدرة هذا التيار على تقديم مرشح من الممكن أن ينافس مرشحي التيار الأصولى.

ويبدو أن المنافسة ستكون في أوساط التيار الأصولى وذلك مرتبط بأن تأتي نسبة المشاركة في الانتخابات الرئاسية على غرار الانتخابات البرلمانية التي سجلت أدنى نسبة مشاركة، وجاءت المشاركة في غالبيتها من الناخبين المؤيدين للتيار الأصولى وسط عزوف واضح من قبل مناصري التيار الإصلاحى.

ويمكن القول: إن فوز بايدن يقلل من فرص مرشح أصولي راديكالي فيما يعزز من فرص مرشح أصولي معتدل، ومع الإعلان عن عدم ترشح إبراهيم رئيسي فإن التوقعات تتجه لمنافسة بين أقطاب أصولية، من أبرزها: علي لاريجاني، رئيس مجلس الشورى السابق، ومحمد باقر قاليباف، رئيس المجلس الحالي، وسعيد جليلي، ممثل خامنئي في مجلس الأمن القومي، خاصة مع سجله الناجح فيما يتعلق بملف بلاده النووي، وبدأت أصوات أصولية بالترويج له مشبهة إياه برئيس الوزراء السابق، محمد علي رجائي، الذي اغتيل عام 1981، وكان يحظى بشعبية كبيرة.. فيما ينشط تيار أحمددي نجاد في محاولة لإعادته إلى دفة الرئاسة.

ولذلك، فإن الرئيس القادم سيكون من طيف فكري ينظر بشك وعداء تجاه الولايات المتحدة الأميركية، إلا إذا حدثت تغييرات في الساحة السياسية الإيرانية ومهدت لمشاركة واسعة في الانتخابات القادمة، وهيأت الأرضية لترشح شخصية مثل وزير الخارجية الحالي، محمد جواد ظريف، الذي تناقلت بعض المواقع الإيرانية [مقابلة](#) معه يتحدث فيها عن علاقة قديمة تربطه مع بايدن، عندما كان في الأمم المتحدة.



الإعلام الإيراني ركز على حالة الانقسام التي شهدتها الانتخابات الأمريكية (المصدر: فارس نيوز)

قد تجبر المشكلات المستعصية التيار الأصولي على العودة إلى سياسة "[المرونة الشجاعة](#)" في الدبلوماسية، وهو الوصف الذي أطلقه خامنئي على سياسة روحاني في 2013، لكن هذه المشكلات أيضًا قد تقود إلى سياسة تصعيدية مع تعزيز أدوات الردع إقليمياً، وهو ما يعني تسخين ملفات عدة إقليمياً، وهذا مرتبط بصورة أساسية باستراتيجية إيران في الإقليم في مرحلة ما بعد سليمانبي. وحتى مع ترجيح سيناريو "المرونة الشجاعة"، فإن ذلك لن يأتي إلا بعد تعزيز نقاط القوة والموقف التفاوضي، وهو ما يعني أن التصعيد قد يكون أمرًا لا مفرَّ منه.

- من المستبعد أن تجري مفاوضات بين إيران وأميركا في عهد روحاني، لأن شرط آية الله خامنئي للعودة إلى المفاوضات هو أن تعود الولايات المتحدة الأميركية إلى الاتفاق النووي وأن ترفع العقوبات، وهذا غير قابل للتحقق في فترة زمنية نقل عن العام، وهي الفترة الباقية لحكومة روحاني قبل الانتخابات الرئاسية القادمة التي تجري في يونيو/حزيران من العام 2021.
- في الحكومة القادمة، حيث من المتوقع أن يصل الأصوليون إلى الرئاسة، ومع الشروط المذكورة، فمن المحتمل أن يتم بناء إطار للتفاوض، ومن المحتمل ألا يتم ذلك بصورة مفاوضات ثنائية بل مفاوضات متعددة الأطراف، خاصة أن إيران أن تعتقد بأن عدم الاستقرار في المنطقة هو حاجة أميركية لتمكين من إدامة بيع الأسلحة وما تريده من التفاوض هو تعظيم الفجوة بين إيران وجوارها وتقوية المعادلة لصالح إسرائيل.
- فيما يتعلق بالبرنامج الصاروخي الإيراني، فلن تدخل إيران أية مفاوضات بشأنه ما دام خامنئي يمسك بزمام الأمر، خاصة أنه وضع خطأ أحمر وحظر التفاوض بشأن القدرات الصاروخية الإيرانية، كما أن إيران تعتقد بأن الضغط من أجل التفاوض على هذا الملف هو مصلحة إسرائيلية.
- إحجام إيران عن التفاوض بشأن برنامجها الصاروخي لا يقتصر في أسبابه على موقف آية الله خامنئي وإن كان هو السبب الأهم، لكن مردّه أيضاً التجربة التي خاضتها إيران مع ترامب؛ فمن غير الممكن أن تدخل إيران في مفاوضات بشأن برنامجها الصاروخي سواء مع أوروبا أو الولايات المتحدة الأميركية وقد أثبتت سياسة ترامب أن ما حفظ إيران هو قدراتها الصاروخية والعسكرية وطائراتها المسيّرة ونظامها الراداري، وأن ما ذهب أدراج الريح هو الاتفاق والتعهدات الدولية.
- **مفهوم التفاوض:** من الواضح أن إيران لديها تعريف للمفاوضات يختلف عن التعريف الذي يقدمه الغرب وبعض الدول في الإقليم مثل السعودية، ووفق التعريف الذي تقدمه من الممكن: أن تدخل مفاوضات إقليمية، أساسها التوقف عن الدعوة لإقصاء إيران من المنطقة وأن يكون التفاوض بشأن عودة الأمن والسلام إلى سوريا والعراق واليمن عملاً جماعياً ضمن آليات جديدة يكون لإيران دور أساسي فيها. وهناك مؤشرات بأن إيران لديها استعداد للتفاوض في إطار المحور الجديد في المنطقة (إيران، تركيا، قطر)، أو (إيران، تركيا، العراق، قطر). ومن الممكن لإيران أن تفاوض فيما يتعلق بحصتها من النفوذ في المنطقة ومستقبل ذلك بالتعاون مع الأطراف المذكورة.
- يمكن لإيران أن تتفاوض لكن بعد تعريف واضح لمعنى التفاوض وحدوده وترى أن الحاجة إلى مفاوضات إقليمية تتقدم على المفاوضات الدولية.

* د. فاطمة الصمادي، باحث أول في مركز الجزيرة للدراسات.

انتهى